

15

السلامة

إسماعيل العلي



بقلم : ا. عبد الحميد عبد القصود
رسوم : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمادي مصطفى





رَزَقَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِأَوَّلِ ابْنٍ مِنْ أَبْنَائِهِ ،
وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ مِنْ زَوْجَتِهِ هَاجِرَ ..

ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَأْخُذَ هَاجِرَ وَإِسْمَاعِيلَ ، وَيَذْهَبَ
بِهِمَا إِلَى مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ ، لِيُقِيمَا هُنَاكَ ..

فَأَخَذَهُمَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام وَتَرَكَهُمَا فِي صَحْرَاءِ مَكَّةَ ،
يَجْوَارِ أَسَاسَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ الْقَدِيمِ ، حَيْثُ لَا زَرْعَ
وَلَا مَاءَ ، وَلَا أَنْيْسَ مِنَ الْبَشَرِ ..

وَتَرَكَ لَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ ، وَجَرَّةٌ فِيهَا مَاءٌ ،

وَهُمَّ بِالرَّحِيلِ ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ السَّيِّدَةُ هَاجِرٌ وَقَالَتْ :

— يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي ، الَّذِي
لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ ؟ !

فَتَرَكَهَا إِبْرَاهِيمُ وَوَاصَلَ سَيْرَهُ دُونَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا ، فَأَخَذَتْ
هَاجِرٌ تُكَرِّرُ سُؤَالَهَا ، وَإِبْرَاهِيمُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ..

وَفِي النِّهَايَةِ سَأَلَتْهُ هَاجِرٌ ، قَائِلَةً :

— هَلِ اللَّهُ أَمَرَكَ بِذَلِكَ ؟ !

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

— نَعَمْ ..

فَقَالَتْ هَاجِرٌ رَاضِيَةً بِقَضَاءِ اللَّهِ وَاخْتِيَارِهِ :

— إِذْنٌ لَا يُضَيِّعُنَا اللَّهُ أَبَدًا ..

وَرَجَعَتْ هَاجِرٌ إِلَى وَلِيدِهَا تُرْضِعُهُ ..

أَمَّا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ انْطَلَقَ ، حَتَّى إِذَا صَارَ عِنْدَ

رَبْوَةٌ تُؤَارِبُهُ عَنْهُمَا ، نَظَرَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي فِيهِ أَسَاسُ
الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ دَاعِيًا رَبَّهُ بِهَذَا الدُّعَاءِ :
﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ
بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ
تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ .

وَأَخَذَتِ السَّيِّدَةُ هَاجِرُ تَرْضَعُ وَلَدَهَا ، وَتَشْرَبُ مِنْ
ذَلِكَ الْمَاءِ ، الَّذِي تَرَكَهُ لَهُمَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حَتَّى نَفِدَ
الْمَاءُ ، فَشَعَرَتْ بِالْعَطَشِ ، وَشَعَرَ إِسْمَاعِيلُ بِالْعَطَشِ ،
فَأَخَذَ يَتَلَوَّى ، وَانْطَلَقَتِ السَّيِّدَةُ هَاجِرُ بَاحِثَةً عَنْ
الْمَاءِ ، فَرَأَتْ جَبَلَ الصَّفَا قَرِيبًا مِنْهَا ، فَصَعَدَتْ فَوْقَهُ ،
وَأَخَذَتْ تَنْظُرُ ، عَلَّهَا تَرَى أَحَدًا قَرِيبًا مِنْهَا ، لِتَطْلُبَ مِنْهُ
الْمَاءَ ، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، وَلَمْ تَجِدْ أَثَرًا لِلْمَاءِ ..

فَنَزَلَتْ مِنَ الصَّفَا ، وَسَعَتْ مُهْرُولَةً تَقْطَعُ الْوَادِي ،
حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى جَبَلِ الْمَرْوَةِ ، فَصَعَدَتْ عَلَيْهِ ،
وَنَظَرَتْ ، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، وَلَمْ تَرَ أَثَرًا لِلْمَاءِ ..

فَنَزَلَتْ مِنَ الْمَرْوَةِ ، وَهَرَوَلَتْ إِلَى الصَّفَا مَرَّةً ثَانِيَةً ، ثُمَّ
عَادَتْ إِلَى الْمَرْوَةِ ، وَهَكَذَا حَتَّى قَطَعَتْ سَبْعَةَ
أَشْوَاطٍ ..

وَعِنْدَمَا عَادَتْ إِلَى إِسْمَاعِيلَ ، وَجَدَتْ الْمَاءَ يَتَفَجَّرُ
عِنْدَهُ مِنْ بَشَرِ زَمْزَمَ ..



وَيُقَالُ : إِنَّ اللَّهَ - تعالى - قَدْ أَرْسَلَ مَلَكًا ،

فَضْرَبَ الْأَرْضَ بِجَنَاحِهِ ، فَتَفَجَّرَ الْمَاءُ .. فَأَخَذَتْ
هَاجِرٌ تَغْرِيفُ الْمَاءِ فِي جَرَّتِهَا ، وَالْمَاءُ يَنْدَفِعُ
كَالنَّافُورَةِ ..

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

«يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ ، لَوْ تَرَكْتُ زَمْزَمَ ، أَوْ لَوْ لَمْ
تَغْرِيفِ الْمَاءِ ، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا»

أَيُّ لَا سَتَمَرُ الْمَاءُ يَتَدَفَّقُ مِنْهَا كَالنَّافُورَةِ حَتَّى الْيَوْمِ ..
وَيُقَالُ إِنَّ الْمَلِكَ ، قَالَ لَهَا جَر :

- لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ ، فَإِنَّ هَاهُنَا بَيْتُ اللَّهِ ، الَّذِي
يَبْنِيهِ هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ .. وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُضِيعُ
أَهْلَهُ ..

وَهَكَذَا عَاشَتِ السَّيِّدَةُ هَاجِرٌ مَعَ طِفْلِهَا إِسْمَاعِيلَ بِجَوَارِ
مَاءِ زَمْزَمَ ، حَتَّى مَرَّتْ قَرِيبًا مِنْهُمْ قَبِيلَةُ عَرَبِيَّةٍ هِيَ قَبِيلَةُ
جَرْهُمْ ، وَرَأَى أَهْلُهَا الطَّيُورَ تَحُطُّ عَلَى الْمَاءِ ..

وَأَيَقَنْتُ جُرْهُمُ أَنَّ الْمَكَانَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ

مَاءٌ ، وَلِهَذَا ذَهَبُوا إِلَى هَاجَرَ وَقَالُوا لَهَا :

— أَتَأْذِنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكَ ، فَتَوَافِسَ ، وَالْمَاءُ

مَاؤُكَ ١٩

فَوَافَقَتِ السَّيِّدَةُ هَاجَرَ ، فَأَقَامَ مَعَهَا أَهْلُ جُرْهُمُ ..

وَبِمُرُورِ الْأَيَّامِ ، جَاءَتْ قَبَائِلُ أُخْرَى ، وَأَقَامَتْ بِمَكَّةَ

عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ..

وَتَحَقَّقَتْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَعَمَّرَتْ مَكَّةَ ، بِالْقَبَائِلِ

الْعَرَبِيَّةِ ، وَرَزَقَ اللَّهُ إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ..

وَكَبِرَ إِسْمَاعِيلُ بَيْنَ الْعَرَبِ ، وَتَعَلَّمَ مِنْهُمْ اللُّغَةَ

الْعَرَبِيَّةَ .. وَرَوَّضَ إِسْمَاعِيلُ الْخَيْلَ وَاسْتَأْنَسَهَا .. فَلَمَّا

بَلَغَ سِنَ الزَّوْاجِ ، تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ قَبِيلَةِ جُرْهُمُ ..

وَتُوَفِّيتِ السَّيِّدَةُ هَاجَرَ ..

وَكَانَ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام دَائِمَ الزِّيَارَةِ لِابْنِهِ

وزَوْجَتَهُ هَاجَرَ .. وَقَدْ زَارَهُ مِنْ قَبْلُ عِنْدَمَا رَأَى

الرُّؤْيَا ، وَهُوَ يَذْبَحُ ابْنَهُ فِيهَا ، وَكَانَ مَا كَانَ مِنْ طَاعَةِ
إِسْمَاعِيلَ لِأَمْرِ أَبِيهِ ، وَامْتِثَالِهِ لِأَمْرِ رَبِّهِ .. وَكَانَ مَا كَانَ
مِنْ اقْتِدَاءِ اللَّهِ لِإِسْمَاعِيلَ ﴿٢٥﴾ وَهُوَ مَا قَدَّمَ نَاهُ فِي قِصَّةِ
نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ ..

وَفِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ زَارَ إِبْرَاهِيمُ ﴿٢٦﴾ مَكَّةَ الْمُكْرَّمَةَ ،
وَتَوَجَّهَ لِبَيْتِ إِسْمَاعِيلَ ، وَلَمْ يَكُنْ ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ فِي
الْبَيْتِ ، فَسَأَلَ إِبْرَاهِيمُ زَوْجَةَ إِسْمَاعِيلَ :

- أَيْنَ زَوْجُكَ ؟!

فَقَالَتْ زَوْجَةُ إِسْمَاعِيلَ :

- لَيْسَ هَا هُنَا .. ذَهَبَ لِيَصْطَادَ ..

وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ ﴿٢٧﴾ يَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ ، فَيَصْطَادُ ثُمَّ
يَرْجِعُ ..

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴿٢٨﴾ :

- هَلْ عِنْدَكَ ضِيَافَةٌ ؟ هَلْ عِنْدَكَ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ ؟

فَقَالَتْ زَوْجَةُ إِسْمَاعِيلَ :

- لَيْسَ عِنْدَنَا طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ .. نَحْنُ فِي ضَيْقٍ ،
وَرَزْقُنَا قَلِيلٌ ..

لَمْ تَحْمَدِ زَوْجَةَ إِسْمَاعِيلَ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ، وَلَمْ تَرْضَ
أَنْ تُصَيِّفَ أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ .. وَلَمْ يَرْضَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ عَدَمِ
قَنَاعَتِهَا ..



فَقَالَ لَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

— إِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَأَقْرِئِيهِ السَّلَامَ ، وَقُولِي لَهُ ، فَلْيُغَيِّرْ
عَتَبَةَ بَابِهِ ..

فَلَمَّا حَضَرَ إِسْمَاعِيلُ وَقَصَّتْ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ ، مَا قَالَهُ
لَهَا الشَّيْخُ ، وَوَصَفَتْ لَهُ هَيْئَتَهُ ، عَرَفَ إِسْمَاعِيلُ أَنَّ أَبَاهُ
قَدْ زَارَهُ ، وَأَنَّهُ غَيْرُ رَاضٍ عَنْ زَوَاجِهِ مِنْ زَوْجَتِهِ ، فَطَلَّقَهَا
وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً أُخْرَى ..

وَعَابَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ ، ثُمَّ زَارَ مَكَّةَ ،
وَتَوَجَّهَ إِلَى بَيْتِ إِسْمَاعِيلَ ، وَلَمْ يَكُنْ إِسْمَاعِيلُ مَوْجُودًا
فِي الْبَيْتِ ، فَلَمَّا رَأَى زَوْجَتَهُ الْجَدِيدَةَ سَأَلَهَا :
— أَيْنَ زَوْجُكَ ؟

فَقَالَتْ :

— ذَهَبَ يَصْطَادُ ، وَسَيَجِيءُ الْآنَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ..
وَرَحَّبْتُ بِهِ ، وَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَدْخُلَ لِيَسْتَرِيحَ مِنْ عَنَاءِ السَّفَرِ ..
فَسَأَلَهَا إِبْرَاهِيمُ قَائِلًا :

— هل عندك ضيافة ؟

فقالت :

— نعم .. نحن بخير وفي سعة من العيش والحمد لله ..

فسألها :

— هل عندك خبز أو قمح أو شعير أو تمر ؟

فجاءته باللحم واللبن .. فدعا لها بالتركة في
الطعام ..

قال رسول الله ﷺ :

«فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر (قمح) أو شعير ،
لكانت أكثر أرض الله براً وشعيراً وتمرّاً» يقصد
لكانت مكة المكرمة والجزيرة العربية أغنى البلاد
بهذه الأصناف ..

فقال لها إبراهيم عليه السلام :

— إذا جاء زوجك فأقرنيه السلام ، وقولي له : قد

استقامت عتبة بابك ..

فَمَا حَاءَ إِسْمَاعِيلُ ، سَأَلَ زَوْجَتَهُ :

.. هَلْ زَارَنَا أَحَدٌ ؟

فَقَالَتْ لَهُ :

- نَعَمْ .. زَارَنَا شَيْخٌ هُوَ أَحْسَرُ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَطْيَبُهُمْ رِيحًا .. وَقَصَّتْ عَلَيْهِ مَا قَالَهُ لَهَا أَبُوهُ ، وَمَا قَالَتْهُ لَهُ ، وَكَيْفَ آتَاهُ دَعَا لَهَا بِالْبَرَكَةِ فِي الطَّعَامِ .. ثُمَّ قَالَتْ لَهُ :

- وَقَالَ لِي : إِذَا جَاءَ زَوْجُكَ ، فَأَقْرَبِيهِ السَّلَامَ ، وَقُولِي لَهُ : قَدْ اسْتَقَامَتْ عَتَبَةُ بَابِكَ ..

فَعَرَفَ أَنَّ أَبَاهُ قَدْ زَارَهُ ، وَأَنَّهُ رَاضٍ الْآنَ عَنْ زَوَاجِهِ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ..

وَعَابَ إِبْرَاهِيمُ .. مَا غَابَ عَنْ وَلَدِهِ ، حَتَّى أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِسَاءِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، فَجَاءَ إِلَى مَكَّةَ الْمُكْرَّمَةِ .. وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ جَالِسًا بِجَوَارِ بَيْتِ زَمْزَمَ يَتَرَى نَبْلًا .. فَلَمَّا رَأَاهُ إِسْمَاعِيلُ نَهَضَ وَغَانَقَهُ مُرَحِّبًا

بِهِ ..

فَلَمَّا انْتَهَى إِبْرَاهِيمُ ^{عليه السلام} مِنْ عِنَاقِ وَلَدِهِ ، قَالَ لَهُ :

— يَا إِسْمَاعِيلُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ ..

لِلَّ



فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ :

— فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ يَا أَبَتِ ..

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ :

— وَتُعِينُنِي يَا بُنَيَّ !؟

ثُمَّ أَشَارَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ إِلَى مَكَانِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَقَالَ
لِإِسْمَاعِيلَ :

— إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ بَيْتًا لَهُ هَاهُنَا ..

وَبَنَى إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ ، فِي مَكَّةَ
الْمُكَرَّمَةِ ، وَيَذُلْ كِلَاهُمَا مَجْهُودًا عَظِيمًا ، كَمَا قَدَّمْنَا
مِنْ قَبْلُ ، فِي قِصَّةِ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ ، حَتَّى أَتَمَّ الْبِنَاءَ ،
وَنَادَى إِبْرَاهِيمُ النَّاسَ لِيَحْجُجُوا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ،
وَعَلَّمَ إِسْمَاعِيلَ مَنَاسِكَ الْحَجِّ وَشَعَائِرَهُ ..

وَمَضَى إِبْرَاهِيمُ ﷺ إِلَى جَوَارِ رَبِّهِ ، أَمَّا إِسْمَاعِيلُ ﷺ
فَقَدْ بَعَثَهُ اللَّهُ نَبِيًّا لِلْعَرَبِ ، فَعَاشَ بَيْنَهُمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى
عِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ..

وَإِسْمَاعِيلُ عليه السلام هُوَ أَبُو الْعَرَبِ ، الَّذِينَ جَاءَ مِنْهُمْ فِيمَا
بَعْدَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ..
قَالَ تَعَالَى مَا دِحًا نَبِيَّهُ إِسْمَاعِيلُ :



﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ
الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ، وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾

(تَمَّتْ)

رقم الإصدار: ٢٠١٢
الترقيم الدولي: ٩٦٠ - ٩٨٠ - ٩٩٩



قصص الأنبياء

الكتاب التالي

يوسف

عليه السلام

(١)

(الحلم)

احرص على اقتنائه